

الانتقاد بين السلب والإيجاب



الإِنسان السوِّى بفطرته عندما يواجه العمل الحسن أو القبيح وقول الحق أو الباطل، يميل إلى العمل الحسن وإلى قول الحق. والمؤمنون الذين انغرس الإيمان في قلوبهم وضائرهم، مجبولون على اتباع القول الحسن والالتزام بطريق الحق والخير. فعندما يعرض عليهم العقل الحق تراهم يستمعون إليه بإذعان ويصغون له بشوق، ولا يردُّونه بمجرد ما يقرع أسماعهم - حسب هوى الذات والأنى - دون أن يتدبَّروا ويفقهوا الفكرة التي يُراد الانطلاق إليها والوصول إلى حقيقتها. ولهذا يصفهم القرآن الكريم بـ (أُولِي الْأَلْبَابِ) والمعرفة، و[] تعالى سيهديهم ويصلح بالهم: ويعرِّفهم على نعمه وآلائه. قال تعالى في سورة الزمر آية (17-18): (فَيَشْرُرْ عِبَادِي * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ).. ونحن هنا نعرض لمسألة نقد الآخرين ومحاسبتهم. - النقد السلبي: كثيراً ما يُفهم النقد في مجتمعاتنا بأن يقوم الإنسان - عندما يحس بوجود خطأ معين - بدور التعبير والتشهير بمن صدر منه ذلك الخطأ لمجرد أنَّهُ رأى سلبية في عمله، وبطبيعة الحال فإنَّ وردت الأحاديث التي تدعو إلى عدم التعرُّض لحرية وكرامة الآخرين، والإنسان المؤمن حريص على أن يكون عزيزاً مكرماً في نفسه التي لا يجوز أن يخضعها ويذلّها لغيره تعالى. فينبغي للمؤمن أن يكون على حذر دائم، فلا يكون وسيلة أو بوقاً لفضح الآخرين بلا شعور بالمسؤولية. فالإسلام لا يسمح بفتح أبواب النقد الذي يكون على أساس التشهير والإيذاء، وتوجيه الاتهامات

والافتراءات للآخرين، فتوجيه النقد أساساً لا من أجل أن يحصي الإنسان عثرات إخوانه
ويزدرهم، فهذا ما نهى عنه الإسلام نهياً قاطعاً، وهو بعيد عن الخلق الإسلامي الرفيع،
وفاقد لأبسط القواعد الخلقية.. فإسلامنا العزيز لا يرضى بأن نعتمد تلك الأساليب والاعمال
التي يُراد منها التعرّض لكرامة الآخرين، أو نقوم بتوجيه التّهم والأباطيل إلى الناس،
أو ننصّب أنفسنا حكماً عليهم ونحدّد بينهم من يعمل □ ومن يعمل لغيره، فيما نحن نفقد
أبسط القواعد الإسلامية في التعامل مع الناس وإرشادهم وهدايتهم دون التفات إلى أننا
مسؤولون عمّا نقوله أمام □ تعالى وأمام الرسول (ص) يوم القيامة. قال تعالى: (مَا
يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ) (ق/ 18)، ومسؤولون أمام الأمة
أيضاً، فإذا ظهر منا الظلم والإجحاف على الناس. فسحاسب ونعاقب على فعلتنا غير المسؤولة
وهذا ما يمكن أن نسميه بالنقد السلبي. - المسؤولية عن الذات: إنّ النفس الإنسانية لا
نستطيع أن نحكم ببراءتها ونزاهتها ما دامت لديها نوازع ذاتية، قال تعالى: (فَلَا
تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اتَّقَى) (النجم/ 32)، فلا عبرة إذاً
بتزكية الإنسان نفسه واتهام الآخرين بفعل القبيح. إنها العبرة بتزكية □ تعالى وهو
سبحانه الذي يرضى ويتقبل أعمال العباد.. والإمام علي (ع) في خطبته المشهورة (خطبة صفات
المتقين) يصف المؤمنين بأنهم لا يزكون أنفسهم بل يخافون من ذلك فيقول (ع): "... إذا
زكّيت أحدهم خاف ممّا يُقال له فيقول: أنا أعلم بنفسي من غيري وربّي أعلم بيّ من
نفسي، اللّهمّ لا تؤاخذني بما يقولون...". فالناقد لا ينبغي أن يأخذه العجب والغرور في
نفسه فيبرر لها هفواتها وزلاتها، بل يقوم بعملية تأديب نفسه وتعليمها قبل أن يؤدّب الناس
ويعلّمهم أخطاءهم، وإذا نظر الإنسان إلى عيب نفسه وأديبها، انشغل بالعيب الذي فيه عن
عيوب الآخرين.. عن الإمام أمير المؤمنين (ع) يقول: "مَنْ نَظَرَ فِي عَيْبِ نَفْسِهِ اشْتَغَلَ عَنْ عَيْبِ
غَيْرِهِ". ويقول (ع): "من نصّب نفسه للناس إماماً فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره،
وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه، ومعلّم نفسه ومؤدّبها أحق بالإجلال من معلم الناس
ومؤدّبهم". فالذي لا يستطيع أن يؤدّب نفسه وأن يبعدها عن طريق شهواتها ولذاتها فليبتعد عن
تنصيب نفسه إماماً وهادياً ومرشداً للناس. - النقد الإيجابي: أمّا إذا كان النقد للآخرين
محوره النصح والإرشاد والتوجيه، فهذا ما أمر به ديننا الإسلامي وهذا هو النقد الإيجابي
وستتعرف على ذلك من خلال بعض الآيات والروايات التي تحث على التشاور والتفاهم والتناصح
وإصلاح الفساد، وتقويم الاعوجاج في مسيرة الناس، سواء أكان ذلك على مستوى الأفراد أم
الجماعات. والمؤمنون أولى من غيرهم في أن يوجّه كل واحد منهم نقداً بناءً إلى الآخر،
فالمؤمن ولي المؤمن في الاتحاد والتعاطف والإرشاد والنصح، لكي تستمر مسيرة الإيمان على
خطها القويم. وقال تعالى في سورة التوبة: (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ

بَعَضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضُهُمْ... (التوبة / 71). وفي حديث لرسول الله (ص) يقول فيه:
"المؤمن مرآة أخيه المؤمن"، فكما أن المرآة تكشف عن مظهر الإنسان الحسن أو القبيح كذلك
المؤمن يكون لأخيه مسدداً وموجهاً، إذ يدلُّه على عيوبه ولا يتعرض له بسوء. كأن ينشرها
بين الناس، كما يعينه على تلافي الخطأ لكي لا يتفاقم الفساد أو ينتشر في حياة الآخرين،
ثم يضع البديل لذلك ليظهر حسنه ونقاؤه وصورته الجميلة للناس. قال الإمام الصادق (ع):
"أحبُّ إخواني إليَّ من أهدى إليَّ عيوبي" والإمام علي (ع) يقول: "ليكن أحبَّ الناس إليك
من هداك إلى أمر أرشدك وكشف لك عن معائبك". فالشخصية الرسالية الواعية بحاجة إلى
المتابعة والمحاسبة والتوقف عن المسير لتبحث عن أخطائها وتضع العلاج الناجح لها، وتتفقد
الجراحات فتعالجها كي لا تتعمق أكثر. فلا بدَّ من الرقابة الصارمة لكي نكون بالمرصاد لكل
حركاتنا وسكناتنا وهنا نجد الكثير من الناس ممن يتركون أخطاءهم فلا يصحونها وعندما
يرون الظلم لا يردُّونه، وعندما يشاهدون الانحراف والاعوجاج لا يُقَوِّمونه ويحجمون عن تلافي
تلك الأخطاء والانحرافات ممَّا يجعلها تسري في جسم الأمة فتعرِّضه للأخطار والبلاء في مسيرتها
وهذا من الخطأ الفادح الذي أُصِيبت به الأُمَّة بعد وفاة الرسول (ص) ممَّا أدَّى بها إلى
التخبُّط والاضطراب. فلا بدَّ من إصلاح هذا النمط من الناس بردعهم عن مساوئهم، وهنا يأتي دور
النقد البناء الذي يفنِّد ويبين هذه المساوئ والعلل ويضع لها الحلول المناسبة، ولا
يتعرض لكرامة الناس من خلال توجيه الكلمات النابية والتشهير بأخطائهم، فهذا مرفوض في
الشرع الإسلامي، بل يوجِّهه نحو الصواب والابتعاد عن مواطن الانحراف باستخدام الأسلوب الحسن
والوداعة في الكلمة، وإبداء المحبة والعطف والحنان. فهذا ما أمر به الإسلام من خلال
القرآن الكريم وسيرة الرسول الأكرم (ص)، قال تعالى: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ
بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...)
(النحل / 125). فالدعوة إلى الله تعالى بالأسلوب الحكيم والعظة الحسنة تجعل للداعية المؤمن
من أعدائه أصدقاء ومن أصدقائه أحبباء وتقرب إليه البعيد ولا تنفر منه القريب.